

دور الأدب في النهوض باللغة العربية

الأستاذ الدكتور: عموري السعيد
جامعة مرسلبي عبد الله تيبازة
الجزائر

تاريخ النشر: 2026/01/01	تاريخ القبول: 2025/07/201	تاريخ الإرسال: 2025/07/03
-------------------------	---------------------------	---------------------------

مدخل:

تعد العلاقة بين الأدب واللغة، علاقة تلازم وضرورة، فالاحتفاء باللغة يكون عبر منتجاتها الفنية، وأشكالها التعبيرية وقدرتها على تطوير بنيتها الأساسية من خلال أدوارها في تحقيق التواصل المجتمعي والإنساني. واللغة العربية على غرار اللغات العالمية تخضع لمنطق الأشكال الفنية والفكرية التي تبنيها اللغة في تحقيق التواصل، وقد مرت اللغات في تطورها وصيرورتها التاريخية بعوامل ومحطات تاريخية فقدت معها كثير من اللغات هويتها وانحسر دورها التواصل، وبات الدرس الحديث للفيلولوجيا والانثروبولوجيا يبحث عن بقايا جذورها وقراءة علاماتها، وما أدل على ذلك من النصوص التي حفظت عديد اللغات كنصوص حمورابي القانونية والأشكال الفنية الهيروغليفية، وغيرها، والتي لولاها لما كان للغات ذكر.¹

بهذا المنطق تتحدد علاقة الأدب والأشكال الفنية باللغة بنية وعلامات تواصلية، وبهذا المنطق حفظت الأشكال الفنية قبل الإسلام للغة جمالها وتصويرها، فصار الشعر وعاء للغة يحفظ ألفاظها من الزوال ويفصل مفردات الموجودات حالة وهيئة متحركة، فقد وصف العرب في أشعارهم الحيوانات كالناقة وحمار الوحشي والظبي والحصان وغيرها، كحالة جعلت من الشعر حافظا قويا لقاموس كبير تعددت فيه مفردات الموجودات²، وكما قال النقاد قديما (الشعر ديوان العرب) فإن الشعر حفظ للغة العربية ميزانها اللغوي النحوي والصرفي، حتى إن الدرس اللغوي جاء متأخرا عن السليقة اللغوية والأدبية وكان القياس اللغوي مستندا على ما قالتها العرب في

1- محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2012.

أشعارها وما توارثته الأجيال من كنوز لغوية حفظها الشعر العربي القديم، فالشعر عامل أساس في اللغة العربية قبل القياس التنظيري للدرس النحوي والبلاغي والعروضي في العصور العباسية الرائدة في علوم اللغة، والتي أجمعت على البحث عن القواعد في موروث العرب الشعري وفي القرآن الكريم الذي جاء بلغة العرب ، متأخرا عن الشكل الفني للغة العربية.

إن تجديد لغة الأدب العربي هو محافظة على اللغة وتطويرها بما يوائم تطور العصر، فلطالما كان الأدب وعاء معجميا للغة، وبصبغته الجمالية وتداوليته ، جرت على ألسن الناس – على مر العصور-عبارات شعرية ومقولات نثرية حفظت للعربية من معجمها ما كان قابلا لمقابلته جديد العصر، ولعل من كتاب (ثورة الأدب) للكاتب الكبير محمد حسين هيكل، ما يشير إلى جهود علماء العربية وأقلام الأدب العربي الحديث في تطوير اللغة والاهتمام بمسؤولية الحفاظ عليها يقول (من الحق أن نذكر بالتقدير والإجلال جهاد من سبقونا في هذا المضمار من الشعراء والكتاب ومن رجال دار العلوم والأزهر، ممن يسمون أنفسهم اليوم أنصار القديم، هؤلاء جميعا سعوا سعيا حثيثا محمودا في سبيل بعث ما كان قد ظل عصورا طويلة طي الكتب القديمة.. لكن اللغة كائن حي يجب له دوام التعهد، وتعهد اللغة من ناحية الأدب إنما يكون بدوام صقلها لتزداد رقة ولطفا ولتكون موسيقاها مما يصلها بالأدب صلة وثيقة.... وهذا الجهاد حظ الكتاب والأدباء منه أكثر من حظ اللغويين وأصحاب المعاجم)¹.

وللأدب دور مهم جدا في الحفاظ على اللغة العربية، لغة القرآن الكريم المعجز، ومن خلال أشكال التعبير التي عرفت بها العربية عبر عصورها ، كان للأدب الدور البارز في تطوير اللغة بما يناسب العصر ، فمنذ العصر الجاهلي كان للأدب احتفاء قبلي بنبوغ الشاعر لمعرفة قيمة الأشكال التعبيرية في خلود تاريخ العرب وأيامهم وتصوير عاداتهم وتقاليدهم وعالمهم، ولعل ما علق بأذهان الناس عبر التاريخ العربي هو شهرة المعلقات التي (تعد وثيقة لغوية وتاريخية مهمة)، ونزول القرآن الكريم بلغة العرب وثيقة حفاظ على نبوغها وقدرتها على موازنة كل العصور خلودا جعل من العربية في عصرنا ميدانا كبيرا خصبا للدارسين اللسانيين عبر العالم لقدراتها الاشتقاقية

¹ - محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ، 2012.

وسهولة مائها وجريانها على ألسنة البشر. يؤكد دكتور حامد أبو أحمد (أن اللغة العربية مازالت تحتفظ بمكانتها في الواقع الإنساني، وأن ازدهار الفنون الأدبية ساعد على ذلك بشكل كبير، كما ساعد على وضع اللغة العربية على الخريطة الثقافية والإبداعية العالمية، فهناك كثير من الأعمال العربية تترجم إلى جميع لغات العالم في الرواية والقصة والشعر، وهناك مشاركات عربية كثيرة في المهرجانات والمؤتمرات الثقافية العالمية، ما يجعل هناك حضوراً عربياً مميزاً، ومما يعطي للعالم انطباعاً مميزاً عن تطور اللغة العربية عبر أنساق الكتابة المختلفة)¹

تعتبر اللغة العربية (لغة أدبية في الأساس، وأن قواعدها بدأت من خلال النظر إلى النصوص الأدبية منذ تأسيس علم النحو، ثم علم العروض وعلوم البلاغة المختلفة.

إن مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الأدباء في الحفاظ على اللغة العربية عبر العصور، ولنا في تاريخنا الأدبي من الأدلة ما لا جدال إلا في قدرته على تقديم الضوابط العلمية للغة بالاستناد إلى ما قيل أدبا على ألسنة الشعراء والأدباء ، فخاصية السماع التي تميزت بها اللغة العربية ، جعلت من النصوص الشعرية أضخم طاقة تعبيرية على محك الزمن؛ ذلك أن الشواهد النحوية شعرا، لم تكن شواهد في عصرها، بل أدت وظائف تعبيرية جمالية، ومع مر العصور أدت وظائف جديدة، تعدت التواصل والتأثير (التي يقول بها اللسانيون في عصرنا) إلى وظيفة التنظير للغة ومنها القياس في مستقبل التاريخ. وخروج اللغة العربية بأدائها وثقافتها ونصوصها الإبداعية إلى مدارات العالمية من شأنه الالتفات إلى قدرتها على تصوير العالم الإنساني العابر لحدودها الجغرافية، فللغة العربية في الدراسات الأدبية المقارنة وضعية مميزة، ذلك أن تقديم الأشكال التعبيرية بها إلى ميدان البحوث المقارنة ودخولها عالم المقارنة العلمية بأدوات علمية ومناهج معرفية من شأنه أن يحافظ على ميزات الجمالية وانتشارها، عبر العصور، ولنا في اللغات المشهورة الآن خير دليل، على اعتبار أن ميدان المقارنة الأول هو الأشكال التعبيرية ومنها دخول النصوص إلى عالم التفسير النقدي بمختلف أدواته ومناهجه ومدارسه.

النص الأدبي ووظيفة التنظير في اللغة العربية:

¹ - عيد عبد العليم ، الأدب رافعة اللغة، صحيفة الخليج، 2024

يروى عن يونس بن حبيب النحوي أنه قال (لولا الفرزدق لضاع ثلث لغة العرب) ولولا شعره لضاع نصف أخبار الناس، مقولة شاعت على ألسن المتكلمين والمهتمين باللغة العربية ، ولعل أهم ما في دلالاتها هي تلك العلاقة التاريخية بين الشعر واللغة ، بين الشعر كحامل لألفاظ العربية منذ العصر الجاهلي ، وحامل لتراكيبها الجمالية ومعانيها التي علقت بأذهان أجيال متوارثة كتلك المعلقات التي تواترنا أشعار كتبت وتعلقت جدران الكعبة المشرفة قبل نور الإسلام، وبين اللغة التي جعلت من الشواهد العربية الشعرية مرجعية علمية للتفسير والتفصيل النحوي، بعد معجزة القرآن الكريم والسنة على اختلاف بين العلماء في مرجعيتها النظرية، ولعلنا لا نجانب صوابا حينما نشير إلى ديوان العرب الذي صنع معجم اللغة ناهيك عن معجم الأيام والأخبار والتاريخ العربي الحافل، وليس أدل على ذلك من ثبات الشواهد النحوية حتى عصرنا الحالي مقرونة بالشواهد الشعرية التي أسست لها وأطرتها عصر التدوين إنما كان بحثا في كنوز الشعر العربي التي روتها القبائل عن حياتها، وبحثا في صناعة مادة جديدة علمية هي اللغة وعلومها – ولسنا بصدد التأريخ للعلاقة القارة المعروفة بين النص الأدبي وعلوم اللغة منذ عصر الراشدين وظهور اللحن وبداية الكتابة النحوية، ولكننا نشير إلى ما للأدب من علاقة قوية في الحفاظ على اللغة وإثرائها في عالمنا الجديد، تلك اللغة التي أثبتت خصائصها قدرتها على التطور التكنولوجي ومواكبة العلوم والمعارف الجديدة الأصل في اللغة العربية مراعات دلالات ألفاظها وتراكيبها خدمة للطاقة التواصلية العبرية حينما قرر علماء العربية أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ف(ابن خلدون حين يتحدث عن الملكة اللسانية، فهو يفترض في المتكلم أن يكون مزوداً بمجموعة من القواعد النحوية والاختيارية والدلالية حتى تكون لديه الكفاية اللغوية، وهو يكتسبها بحفظه للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب من شعرونث وأمثال وحكم، فتساعده جميعها على إنجاز التركيب الصحيح والمفيد للجمل؛ وابن خلدون في فكرته لا يختلف عن تشومسكي حين عالج الكفاية اللغوية والأداء الكلامي).¹

¹ - أحمد عزوز، نشأة الدراسة الدلالية العربية وتطورها، مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد 81-82

يجدر الإشارة منطقياً إلى اقتران اللغة العربية بالإسلام، فهي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، وانتشا الإسلام عبر ربوع العالم إنما كان طبيعياً انتشاراً للغة العربية، ولعل المتتبع لتراثنا العربي من جهود اللغويين والبلاغيين وغيرهم، إنما يجد في بحور أعمالهم حرصاً كبيراً على القيام بصحة اللغة العربية باعتبار ضرورتها الدينية أولاً حفاظاً على الدين الإسلامي من دخول اللحن عليه وما يترتب عن ذلك من انهيار لصرح تقوم عليه الشعوب الإسلامية، وهنا نشير إلى جهود الأقلام الجادة للغة العربية في إفريقيا، آسيا، وكل الشعوب التي وصلها الإسلام وانتقل إليها، فكانت اللغة العربية محورا هاما وضرورة قارة للقيام بالدين الإسلامي، وهو الأمر الذي انبرى له علماء العربية منذ بزوغ الدرس النحوي والبلاغي خدمة للغة القرآن. يقول دكتور يوسف منكيلا (المتتبع لخريطة انتشار الإسلام يلاحظ انتشاراً مترابطاً للأدب العربي عبر هذه الخريطة، ويلاحظ كذلك أن الإسلام حمل معه أدبا عربيا صرفا يتمثل في جملة من النصوص الشعرية والنثرية التي أصبحت من لوازم حذق اللغة العربية ووسائل التوسع في لغة القرآن)¹. لذلك سنحاول الإشارة - على قلتها- لجهود اللغويين والبلاغيين في الحفاظ على اللغة العربية من خلال الالتقاء على مرجعية معرفية هي هنا الشعر العربي.

جهود علماء اللغة في النهوض باللغة النصوص الأدبية:

يجدر بنا الإشارة بدءاً أن علماء اللغة العربية، نحاة منهم وبلاغيين وغيرهم ممن اشتغلوا بالدرس اللغوي، إنما صدروا عن هدف سام هو مدارس علوم القرآن الكريم ومحاولاتهم الراقية في ربط اللغة المعجزة للقرآن بما كان قبلها من رقي في لغة العرب السليقيين الأقحاح، ولعل من جميل الإشارة إلى منهجية الكتابة التراثية في علوم اللغة والبلاغة التي تركز على فعل المقارنة وعلى موازنة النصوص في عالم التفاعل المعرفي في مجتمع اللغة، فلم تكن كتبهم بعيدة عما يعيشه المجتمع من حياة لغوية، بل كان من صميم معرفتهم العلمية ما كان نقداً للغة العامة والخاصة في تناولهم للنصوص الأدبية وبالتالي خدمة تداول اللغة العربية وحفظها لها وعملاً بقداسة مسؤولية تطويرها وهو ما أبرز علم النقد بصفة خاصة بعدما استقل عن علوم اللغة والبلاغة برؤاه المحاذية.

¹ - يوسف منكيلا، دور الشعر العربي في النهوض بالفصحى في إفريقيا، مجلة قراءات ثقافية، سبتمبر 2013.

ففي مستوى دراسة الأصوات، نجد أن العرب ركزوا على القيمة التعبيرية للأصوات، ونظروا في أهميتها في موسيقى الشعر، بالنظر إلى الحروف العربية ووقعها الموسيقي، في ذاتها وفي اتساق وانسجام تركيبها في النظم، الأمر الذي يقدم الطاقة التعبيرية للغرض الشعري، وبالتالي فإن تلون الأصوات بتلون الأغراض الدلالية، يقابله تحقق طاقوي كبير لوظيفة التأثير التي تركز فيها الدراسات اللسانية العاصرة، ولعلنا لا يمكننا نقاش ما لغنائية الشعر العربي من قوة الصلة بينه وبين أصوات اللغة فهناك « صفة وثيقة الصلة بالملامح الصوتية للغة العربية »¹، ومثال ذلك غرض الوصف في نونية ابن زيدون أين تكثر الكلمات الخفيفة والأصوات المعبرة عن ذلك، وفي موضع الذكرى والتألم تكثر أصوات المدّ المعبرة عن الأنين والتألم.

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا مِنْ تَدَانِينَا وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا

ولا يخفى ما لحرف النون من صفات الأنين المتحققة في صفته الصوتية أولا فهو صوت (هزازرنان له صدى قوي)² كالغنة التي تعرف بأنها تشكيلة صوتية يوحى نطقها بالرنين الدال على الفرح والحزن، فمن الفرح الغناء ومن الحزن الأنين³ وهي صفات التوتر الصوتي الذي يزيد من فعل الانسجام بين الشاعر والمتلقي.

ولعلنا نضرب مثالا آخر عن قيمة الحرف في تكوين اللغة الشعرية وغنى طاقتها لتعبيرية مما يزيد من قوة تأثيرها، الأمر الذي جعل من الشعر العربي ميزانا عالي الجودة للغة العربية على مر العصور فهو ديوان العرب الذي كتب التاريخ والعالم في العصور الماضية، وهي زائفة الشماخ بن ضرار التي يقول فيها في معرض حديثه عن حزن تاجر باع للضرورة قوسا يملكها ولها في قلبه منزلة كبيرة:

¹ صلاح يوسف عبد القادر. في العروض والإيقاع الشعري. الأيام للطباعة والنشر. الجزائر. 1996. ص 150.

² - فخرية غريب قادر، تجليا الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، ص 49.

³ - مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، دراسة تحليلية تطبيقية

فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عَبْرَةً وَفِي الصَّدْرِ حُزَازٌ مِّنَ الْوَجْدِ حَامِزٌ¹

إن التناغم الداخلي أضاف للألفاظ ظلالاً جديدة . فهذا المد في (شراها) المقرون بالمد في (فاضت) (يزيد من معاني الفقد في هذا التمهيد الباكي وقد كان الشطر الثاني دليل الغيظ في هذا الحرف المكرر ثلاث مرات (ز) وهو من حروف الصفيّر، التي تعكس اهتزازاً في النفس ، فهذا الغيظ تخرجه زفرات الحروف، ولعلّ الشدة في (تشكيل الحروف) هي شدة الضغط في صدر التاجر فالمستوى الصوتي (لا) يقوم منفرداً، وإنّما تتشكل كلّ المستويات ضمن هالة متكاملة لإعطاء الأسلوب الغرض الدلالي الذي يقصده المبدع)².

وفي مجال المعنى النحوي الدلالي الذي هو أصل المباحث في القراءة الدلالية للتراكيب اللغوية، فإن طاقة الكتابة الأدبية استمدت قوتها من الاتساق والانسجام التي توارثتها النصوص الأدبية ، والتي كانت مصدراً كبيراً للقراءات النحوية وتنظيراتها، "فالتربط بين الوظيفة النحوية والدلالة المعجمية حقيقة ثابتة ودائمة ومستمرة في التجربة اللسانية العربية، فالجملة هي غاية كل نظام نحوي يعمل على كشف تركيبها، ويحاول الربط بين الصورة الصوتية والمعنى المراد منها من خلال النظام العقلي الذي يحكمها، فهو إذن يمدّ الجملة بمعناها الأساسي الذي يكفل له الصحة ويحدّد له عنصر هذا المعنى"³.

وهو حال النصوص الشعرية بصفة خاصة أين كانت الحاجة ماسة للتنظير اللغوي ، في بدايات عصر التدوين وقلق علماء العربية من انشاز اللحن وضياح العربية، فكان القرآن الكريم والأدب العربي ممثلاً بالنصوص القديمة ميزاناً قوياً صحيحاً ثابتاً للنظرية اللغوية التي تبارى في رص بنيانها علماء ثقافت.

¹ ديوان الشماخ بن ضرار، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف ، القاهرة . ص190

² - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط: 1، سنة 1996.

3- عمار شلواي درعيات أبي العلاء ، مرجع سابق، ص 43.

إننا لا نجواب صوابا حينما نقف عند نظرية النظم للجرجاني في خضم حديثنا عن صور الدلالة اللغوية للنصوص الأدبية . تلك النظرية التي وضحت معاني الفصاحة والاعجاز في النظم خدمة للتواصل.

يرى عبد القاهر الجرجاني بحسّ الفلسفي وتفكيره العقلاني أنّ العلاقة الواجبة بين اللفظ والمعنى في أي نص أدبي لا بد أن تكون على أساس الاعتدال؛ فالقيمة الحقيقية تكمن في التأليف، لذلك اعتبر القضية أساسا تتعلق بما سمّاه (النظم)، والفصاحة لا تكون في اللفظة إفرادا بل في التأليف والترتيب الذي يبني النص؛ ففصاحة الكلمة المفردة تختلف من موضع لآخر، الأمر الذي يجعل من الفصاحة في اللفظة غير قار ويتحكم فيه المعنى، لذلك فمدار الأمر في الفصاحة هو النظم والتأليف، يقول في تبيان مفهوم النظم إنّه « عمل يعمل مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها، وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة، فيتوخى فيها ترتيبا يحدث عنه ضروب من النقش والوشى »¹ وهو بكلامه هذا يقضي على الثنائية أساسا لأنّ كل تغيير في اللفظ أو في المعنى يترتب عليه تغيير في اللوحة المصبوغة.

جهود علماء البلاغة في تطوير اللغة والارتقاء بها:

إن مدار البحث البلاغي فيما يتعلق بقضية التعالق الدلالي بين اللفظ والمعنى إنما نراه يتعالق في أهدافه الكبرى بالارتقاء باللغة العربية في تداوليتها وواقعها في التواصل عبر العصور، وإنما كان من شواهد أدبية في الدرس البلاغي العربي، إنما تأصيل للفروق بين اللغات المتداولة باعتبار ضرورة التركيز على استعمال اللغة في فصاحتها وصورها الراقية الرفيعة، وهي محاولات نراها جهودا كبيرة للارتقاء بالمجتمع إلى شساعة قدرات اللغة العربية ، ولقد كان المرجع الأكبر بعد القرآن الكريم والسنة كما أشرنا سابقا هو النص الشعري بصفة خاصة، مما يدل على قيمة الشعر في صناعة السليقة العربية والحفاظ على رصانة وقوة اللغة العربية، ولقد تأسست البلاغة في قضية اللفظ ومعناه بهدف الارتقاء والحفاظ على سلامة اللغة ورفعها وتعالها على ما يمكن أن

¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ط2، 1989، ص

يدنس قداستها، ولنا فيما ورد في صحيفة بشر بن المعتمر ما أراد به التأصيل لمواءمة اللفظ الشريف وطبقات القول لما يناسبها من اختيار هو من صميم انعكاس اللغة على المجتمع، وهو لعمرى مراد سام أراد به بشر بن المعتمر حفاظا على سلامة اللغة ورفعها وتهذيب أذواق الناس، يقول (من أراغ معنى كريما فليلتبس لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف للفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما... فكن في ثلاثة منازل، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا، ويكون معنك ظاهرا مكشوفًا، وقريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت¹) وإنما استمدت البلاغة في تنظيراتها خلفية جمالية مما صانه الشعر العربي على ألسنة الشعراء الكبار الذي ضمنوا مكانة في تاريخ الأدب العربي بما قدموه وصار على ألسنة الناس ملاذا للمعاني الخالدة، فقد أورد العتابي مما ذكره صاحب الصناعتين أن (الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخرا أو أخّرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيّرت المعنى، كما لو حلّ رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة وتغيّرت الحلية²) وذلك في مقام حديثه وحرصه كما البلاغيين على التسامي باللغة العربية وبالدائقة العربية مقامات راقية رفيعة، وحرصه على مواءمة اللفظ للتركيب الدال على الاتساق والانسجام على تناسق جسد القصيدة بصفة خاصة، وعن ذلك الانسجام ما أقرببه ناقد فذ عندما قال (بوجوب أن تكون الألفاظ في الشعر لها (حسن المطالع والمخارج والمقاطع والسبك، عذبة لها ماء ورونق، سهلة بعيدة عن التعقيد، والاستكراه قريبة من أفهام العوام، ليس فيها بشاعة وتكون حسنه إذا خلت من عيوب الشعر وضروراته، واستقام الوزن وحسن الروي³)

ولعل الإشارة إلى لغة العوام وضرورة أن يكون الشعر قريبا من الإفهام ما ينبئ على هدف الدراسة البلاغية في العصر العباسي لاهتمامهم بقدرة الشعر على تهذيب الأذواق والحفاظ على اللغة الرصينة الراقية وانتشارها وعبورها مجالس الخاصة للغة العامة من المتكلمين بالعربية،

¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، 1990، ص 136.

² - أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1998، ص 167.

³ - طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الفيصلية، السعودية، د ط، 2004.

كما ركز ابن طباطبا على علاقة النص الشعري كلغة بمعانيه التي يجسدها وينقلها إلى عالم التواصل « والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه، كما قال بعض الحكماء: الكلام جسد وروح، فجسده النطق وروحه المعنى»¹، ولقد اهتم البلاغيون بالعلاقة بين اللغة والمجتمع في حسن تركيبه وتمثيل ما يجب أن يكون عليه، فضربوا أمثلة حسن السبك للفظ والمعنى ف علاقتهما بالمتلقي وضرورة مراعات الأرقى منها والأرفع قيمة، يقول ابن طباطبا العلوي « للمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيره، ففي كلها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض»²، وهو بهذا يفصل بين اللفظ والمعنى، ولكن يجمعهما في إلزام الناظم حسن الصياغة، فيرتقي نظم الشاعر على اعتبار هدف النظم وهو الرقي بأذواق الناس لغة وسبكا، يقول عن ملاءمة اللفظ لمعناه: «... وإيفاء كل معنى حظه من العبارة، وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ حتى يبرز في أحسن زي وأبهى صورة.. بل يكون كالسبيكة المفرغة، والوشي المنمنم، والعقد المنظم والرياض الزاهرة... وتكون قوافيه قوالب لمعانيه».

وإن من بين ما ركز فيه علماء النقد المهتمين بتلك العلاقة بين الشعر كأقدم طاقة لغوية حفظها تاريخ اللغة العربية، وبين حديث اللغة العام في طبقات المجتمع والعامية، ما كان من منهاج الأمدي في الموازنة على اعتبار قيمة اللفظة في جانبها الصوتي والدلالي والتعبيري على مستوى النظم الشعري، وهي علاقة تستند على الاتكاء على قدرة اللغة الشعرية على التداول وعلى البقاء والاستمرار في الخلود عبر خصيصات سهولة تداولها، وسهولة مخرجها، وقدرتها على تصوير المعاني في واقعها المعيش غير مفصولة عن زمانها، وهو الأمر الذي نراه ذا أهمية كبيرة في علاقة النص الأدبي على الحفاظ على اللغة وتطويرها، فقد ركز الأمدي في موازنته على

أن الموازنة هي حقيقة العلاقة بين اللفظ والمعنى، من حيث كونها مقياسا لحسن السبك والصياغة وقول الشعر ومنه إصابة المعنى أي دقته وصوابه، ولا يتأتى ذلك إلا بصفات يقوم عليها اللفظ وبه تقوم عليها البلاغة الحق، الأخيرة التي يعرفها بأنها « إصابة المعنى وإدراك الغرض بالفاظ

¹ - ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق الحاجري وزغلول سلام، القاهرة، ط1، ص78.

² - نفسه، ص 14.

3- نفسه، ص

سهلة ، عذبة، مستعملة سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية.. فإن اتفق مع هذا معنى لطيف، أو حكمة غريبة أو أدب حسن؛ فذلك زائد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه»¹.

إنّ الآمدي في حديثه عن الألفاظ إنّما يصدر من واقع استعمالها، أي في تداولها وانتشار استعمالها أو كثرة استعمالها وهو السهولة والعذوبة، التي بغيرها لا تُتداول الأشعار، وبخاصة إذا أدركنا العصر المزدهر الذي عاش فيه الآمدي، وأدركنا تراجع استعمال اللغة العربية -أصيلة النشأة- عند العامة لانتشار اللحن وبروز علوم اللغة، وكل ما صاحبها من علوم الحديث والفلسفة وغيرها، وبالتالي فمنطق الآمدي في كتاب الموازنة بين أبي تمام الذي كان يراه أغوص للمعاني من البحري الذي وصفه بأنه أكثر التزاما بعمود الشعر العربي الأصيل في شكله ومضمونه. منطق قائم على إمكانية المقارنة بين النصوص في استعمال الألفاظ لتقديم المعاني، والأخيرة عنده غاية توصلنا إليها الألفاظ السهلة المستعملة بطريقة لا هذر فيها. والبلاغة بهذا هي الإيجاز في استعمال اللفظ القليل للمعنى الكبير.

إنّ الآمدي في نصه هذا يؤكد على نظريته في البلاغة بمنهج يدع فيه للقارئ مساحة تقييم ذاتي للألفاظ التي تؤدي المعنى المقصود كما تدع له مساحة مشاركة في معرفة حدود بلاغة القول الشعري، وذلك أنّ الآمدي لا يعرف الكلام الزائد الهذر بل جعله في حدود القدرة على فعل التلقي، (لا تبلغ الهذر الزائد على الحاجة) وهي من دون شك قدرة محدودة تختلف باختلاف استعدادات المتلقي الثقافية والمعرفية واللغوية والأدبية، وبالتالي فكلمة (الحاجة) هي المفتاح الذي نراه في نظرية الآمدي البلاغية لأن الحاجة لا حصر لها ولا تمتلك اللغة في مستواها الفردي تحقيقها لمحدودية القدرة على التعبير عند الإنسان الأديب ناهيك عن الإنسان المتلقي الذي لا ندرك أي حدود معرفية لفعل التلقي تناسبه.

وإذا ما ركزنا النظر في جهود العلماء المغرب العربي فإن موضوع مشكلة اللغة لروح العصر كان من اهتماماتهم خدمة للغة العربية وتطورها والحفاظ عليها ، فأحدا مثل ابن رشيق القيرواني

¹ - الحسن بن الآمدي، الموازنة، تحقيق سيد أحمد صقر، مطبعة المعارف، ص181.

يخصص في قضية اللفظ والمعنى بابا مستقلا سَمَاهُ (باب في اللفظ والمعنى) يقرّر فيه أنّ « اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يقوى بقوته ويضعف بضعفه، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه... وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ... ولا نجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ... فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع... وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصحّ له معنى»¹

يقرّر ابن رشيق منذ البدء أنّ اللفظ والمعنى وجهان لعملة واحدة، فلا الجسم يعيش بلا روح ولا الروح بلا جسم تكون. ولكن تركيزة على اختلال اللفظ فيتبعه اختلال بعض المعنى، واختلال المعنى يتبعه بعض اللفظ. يجعلنا نسأل عالمنا عن مقصود كلمة (بعض) في نصه وفي رأينا أنّ الأمر لا يتعلق بالكلام العادي أو الشعر الذي دون المستوى؛ فعالمنا ابن رشيق يتكلم في مستوى عال فيفاضل بين الشعراء الفحول شأنه في ذلك شأن ابن سلام الجمحي في طبقاته، أين نجده قسم طبقاته بين الفحول من الشعراء دون غيرهم، فعالمنا ابن رشيق - من خلال نصه - يفاضل بين الشعراء في استعمالهم للفظ والمعنى اللذين يجب أن يكونا في المستوى ذاته لأنه لا حياة لأحدهما دون الآخر حتى ولو كان حسنا بمفرده أيمستقلا عن التركيب، وكأن التركيب هو الفارق في بيان مقدار جمال كل منهما، بيد أنّ ابن رشيق القيرواني يحاول أن يبين في نصه ان علاقة اللفظ بالمعنى علاقة وجود الانسان والروح والحياة والموت، فالحياة النظم السليم الجميل والموت اختلال النظم؛ لان ابن رشيق يعرف أنّ اللغة كائن حي والحي ليس كالميت في القبول والمشاركة والتفاعل والتواصل.

الأدب الحديث ودور الوسائط الالكترونية في النهوض باللغة العربية :

لأن السرد جاء متأخرا في تاريخ الأدب العربي عن الشعر، فإن مادته الحكائية اصطبغت بصبغة غربية في تأثيث عالم السرد بكل منجزات العالم الغربي في وقت وجيز جدا، منذ بداية القرن

¹ بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981.

العشرين، وحتى أواسطه كان السرد القصصي والروائي في تطور تجريبي صور العالم العربي والإنساني بلغة عربية رصينه ارتقت عن لغة العوام وصيرت لغة المعاجم في متناول التداول الواسع الانتشار، وعلى الرغم من امتداد المادة الحكائية إلى عمق التاريخ العربي بالأشكال القديمة كالحكم والأمثال والقصص والمقامات والرسائل وغيرها، إلا أن الأشكال الجديدة من الرواية والقصة والمسرح وفنون الأدب بعامة استطاعت أن تكون حضورا فاعلا في المشهد الثقافي العالمي، فقد ترجمت عديد الأعمال الشعرية والمسرحية والروائية العربية إلى لغات العالم الجديد (نارنجة لجوخة الحارثي إلى البرتغالية، ثلاثية نجيب محفوظ، الخبز الحافي لمحمد شكري، موسم الهجرة إلى الشمال لطيب صالح، رجال في الشمس لغسان كنفاني والقائمة طويلة جدا)، وذلك لقدرة اللغة العربية على التصوير وامتثالها لقانون التواصل البشري في قدرتها على التداول والتأثير من خلال خصائصها وصفاتها، وهو الضمان الأول لانتشارها واستيعابها معجم العصر بكل فلسفاته وتقنياته وتكنولوجياته، وهنا ترى الروائية أمينة زيدان أنه : في الوقت الراهن على الأدباء دور كبير في النهوض باللغة؛ لأن الاستسهال قد يؤدي إلى ضياعها وانهارها، لذا على كل من يريد الكتابة الإبداعية أن يدرس اللغة ويتذوقها، لأن اللغة العربية لغة تذوق، وهي أكثر اللغات التي تحتوي على تنوع في المفردات، وتنوع في الجماليات والرؤى.¹

ولا يخفى انتشار اللغة العربية عبر أشكالها من خلال الوسائط التكنولوجية ووائل التواصل الاجتماعي التي صارت معجما جديدا سريع الوصول إليه كمصدر للمعلومة في عالم اتسم بالسرعة والتسارع في اقتصاديات المعرفة وتكنولوجيات المعلومة، فالإبداع الرقمي على ما يعتره من إشكالات معرفية تتصل بالتجنيس الأدبي والنقدي يعتبر إيجابيا من وجهة نظر التفاعل العالمي واللغة العربية في تعالقها الاجتماعي والسياسي الراهن، واختلاف المدونات الأدبية الرقمية، والبرامج المعجمية اللسانية (المعجم الطوبوني في الجوائز الصادر عن المجلس الأعلى للغة العربية، منصة سوار... وغيرها كثير جدا) وكذا البرامج الأدبية هي مكاسب عصرية جديدة، تقدم الأشكال الأدبية بطرق تكنولوجية تتجاوز القارئ التقليدي إلى قارئ تفاعلي، وهو المتلقي الذي يندمج مع النص وبالتالي اللغة في ولوج عالم المادة الحكائية، الأمر الذي يزيد من تفتق قدرات اللغة في قدرتها على

¹ - أمينة زيدان في حوار عيد عبد الحليم مرجع سابق

استيعاب عالم التكنولوجيا والاستفادة منها ، (الزنزانة رقم 6 لحمزة قريرة، رواية شات لمحمد سناجلة... وغيرها كثير جدا)

حيث يرى الروائي د. السيد نجم (أن العربية من أكثر اللغات حضوراً في العالم، وزاد هذا الحضور في السنوات الأخيرة مع زيادة الإبداع الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية) .

خاتمة:

إن اللغة العربية متطورة في خصائصها العلمية ثابتة في تاريخها المعرفي الحضاري، قابلة للتجديد ومواءمة كل العصور، ناهيك عن كونها لغة الدين الإسلامي ، ولغة الدين عبر كل الحضارات مسؤولية يتحملها المتكلمون بها والقائمون على انتشار الدين والعمل على النهوض بمقتضياته.

إن مسؤوليتنا المتوارثة في الحفاظ على اللغة العربية والاشتغال على تطويرها يحتاج جهداً أكبر بخاصة في واقع الصراعات الثقافية والحضارية العالمية. وإن الجانب المشرق من الآداب هو الإضاءة الفاعلة لإنارة لغتنا عبر العالم.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق الحاجري و زغلول سلام، القاهرة، ط1.
- 2- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1998.
- 3- أحمد عزوز، نشأة الدراسة الدلالية العربية وتطورها، مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد 81-82
- 4- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط: 1، سنة 1996.
- 5- بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981.
- 6- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، 1990.
- 7- الحسن بن الأمدى، الموازنة، تحقيق سيد أحمد صقر، مطبعة المعارف
- 8- ديوان الشماخ بن ضرار، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف ، القاهرة .

- 9- صلاح يوسف عبد القادر. في العروض والإيقاع الشعري. الأيام للطباعة والنشر. الجزائر 1996.
- 10- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الفيصلية، السعودية، د ط ، 2004.
- 11- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ط2، 1989.
- 12- عمار شلواي درعيات ابي العلاء .
- 13- عيد عبد العليم ، الأدب رافعة اللغة، صحيفة الخليج، 2024
- 14- فخرية غريب قادر، تجليا الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني.
- 15- محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ، 2012.
- 16- مقالة نجيب الحداد عن الشعر العربي والافرنجي
- 17- مكي درار ، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، دراسة تحليلية تطبيقية.
- 18- يوسو منكيلا، دور الشعر العربي في النهوض بالفصحى في افريقيا، مجلة قراءات ثقافية ، سبتمبر 2013.